أكاديمية فيض العلم
FaidhUlilm Academy

المؤتمر الدولي الأول
القراءات القرآنية وعلومها
الجزء الرابع



انعقاد المؤتمر

26، 27، 28 أغسطس 2023

مدير أكاديمية فيض العلم
أ. أسماء محمد الأروش

رئيس المؤتمر
د. أمير عادل الديب

المؤتمر الدولي الأول

القراءات القرآنية وعلومها

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر الدولي الأول
القراءات القرآنية وعلومها

مدير أكاديمية فيض العلم
أ. أسماء محمد الأروش

رئيس المؤتمر
د. أمير عادل الديب

الطبعة الأولى

٢٠٢٣م – ١٤٤٥هـ

الناشر: أكاديمية فيض العلم

اختيار القراءات بين الرواية والتأثر بالبيئة اللغوية في ضوء قراءة عاصم

المقرئ: فؤاد محمد خطاب الجابري

رئيس فريق تحقيق أسانيد القرآن بمركز الإمام

ابن الجزري بالأوقاف الكويتية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علي رسول الله، أما بعد:

فمصطلح الاختيار في القراءات لا زال مبهمًا عند أكثر المقرئين بَلْهَ الباحثين من أهل اللغة ممن يرون أن القراءات القرآنية أحد أصول النحو واللغة، وذلك الإبهام من جهتين:

الأولى: حقيقة الاختيار في القراءات.

والثانية: الأسس التي قام عليها القارئ باختيار حرفه الذي يقرئ به.

الأمر الذي جعل البعض يرجع أسباب اختيار الحرف القرآني لدى المقرئين المتقدمين إلى تأثر كل قارئ ببيئته اللغوية التي عاش فيها ولهجته التي درج عليها، غير مفرقين بين عصر نزول الوحي بالأحرف السبعة، وبين ما بعده في عصر الاختيارات المتفق عليها.

ولذا ففي هذا المقال نزيل الإبهام عن مصطلح الاختيار في القراءات مبينين تاريخ الاختيار، وقواعده في عصر النبوة، ثم بعد انقطاع الوحي في عصر الصحابة والتابعين ثم في عصر الاختيارات أو عصر القراء أصحاب الاختيارات المنسوبة إليهم والمعروفة بالقراءات العشر، مع ضحد اعتماد القراء في الاختيار على اللغة وحدها مستدلين بقراءة الإمام عاصم لشهرتها في العالم الإسلامي.

تعريف الاختيار:

يُعرِّفُ العلماء الاختيار: بأن يعمد من كان أهلًا للاختيار إلى القراءات المروية فيختار منها ما هو الراجح عنده ويجرد من ذلك طريقًا في القراءة على حدِّه"[١] يقرئ به ويلتزمه فيضاف إليه على جهة اختياره ولزومه له لا على جهة الابتداع والاختيار"[٢].

(١) ينظر: التبيان لبعض مباحث القرآن لطاهر لجزائري(ص٩٠).

(٢) ينظر: الأحرف السبعة لأبي عمرو(ص٦١).

والمعنى أن يعْمدَ عالمٌ مقرئٌ من علماء القراءات أمثال: الإمام نافع أو الإمام خلف أو الإمام الكسائي- رحهم الله، فينظر في مقروءاته ومروياته القرآنية، والتي قرأ بها على مشايخه فيختار منها حرفا قرآنيا يجرده ويقرئ به ويلتزمه.

ثم لاشتهار هذا الحرف عنه ينسب إليه فيقال قراءة نافع أو عاصم مثلا، والمعنى القراءة التي اختارها الإمام نافع من مجموع ما قرأ به القرآن.

ومثاله: أن نافعا قرأ على أكثر من سبعين من التابعين وكان يُقرئ بما أجمع عليه اثنان من مشايخه، ومن أتاه يقرأ لا يرده ما دام يقرأ بما ثبت لديه من الأحرف القرآنية، ثم تخير لنفسه حرفًا يقرأ به ويُقرئ ولم يكن يلزم به أحدًا بل يُقرئ به من طلب منه أن يقرئه بحرفه الذي اختاره [١].

ثم اشتهر هذا الاختيار لنافع بما يعرف بقراءة نافع، وقُل مثل هذا في غيره كالكسائي وخلف وغيرهما من القراء.

تاريخ الاختيار:

أول من اختار هو النبي محمد ﷺ، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾** ﴾ [الشعراء ١٩٢: ١٩٥]، فالقرآن كلام الله المنزل منه سبحانه، تجلت فيه ذروة الفصاحة التي أعجزت العربي الفصيح على أن يأتي بسورة مثله، **ولقد أُنزل ابتداءً على حرف واحد**[٢] **ثم كانت الرخصة في قراءته على سبعة أحرف** [٣]، فعن أُبي بن كعب ﷺ أنَّ النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسال الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسال الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا»[٤].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص٨٢).

(٢) ينظر: فتح الباري (٩/٩).

(٣) ينظر: المرشد الوجيز لأبي شامة (٩٢/١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨٢٠).

ثم بعد هذه الرخصة كان النبي ﷺ يقرئ الصحابة على أحرف مختلفة لعلمه ﷺ بما هم عليه من اختلاف اللغات واستصعاب مفارقة كل فريق منهم الطبع والعادة في الكلام إلى غيره فخفف الله تعالى عنهم وسهل عليهم بأن أقرأهم على مألوف طبعهم وعادتهم في كلامهم[١]، فعن عبد الله بن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين، من آل حم قال: يعني الأحقاف قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين، قال: فرحت إلى المسجد، فإذا رجل يقرؤها على غير ما أقرأني، فقلت: من أقرأك؟ فقال: رسول الله ﷺ، قال: فقلت لآخر: اقرأها، فقرأها على غير قراءتي وقراءة صاحبي، فانطلقت بهما إلى النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن هذين يخالفاني في القراءة. قال: فغضب، وتمعر وجهه، وقال: «إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف»- قال: قال زِرٌّ: وعنده رجل- قال: فقال الرجل: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما أُقرئ، فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف قال: قال: عبد الله: «فلا أدري أشيئا أسره إليه رسول الله ﷺ، أو علم ما في نفس رسول الله ﷺ ؟ قال: والرجل هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[٢].

الأسس التي اختار عليها النبي ﷺ لأصحابه:

من الآثار الآنفة يتبين لنا أن النبي ﷺ راعى أمرين:

الأول: أنه يتخير لأصحابه مما أنزل عليه.

أي مما يرويه هو عن ربه.

الثاني: أنه يتخير لهم مراعيا المألوف لهم، والأيسر علهم.

عهد الصحابة وما وقع لهم من اختيارات:

نهجَ الصحابة المنهج الذي بينه لهم النبي محمد ﷺ؛ **وهو ألا يُقرئَ أحدُهم إلا كما أُقرئَ**، وكان الصحابة سفراء من ورائهم من قومهم يعلم كل واحد منهم قومه، ثم تفرق الصحابة في البلاد لما كثرت الفتوح، وكثر الآخذين عنهم والآخذين عن الآخذين عنهم مع سعة البلاد وتفرقهم فيها فوقع الخلاف بين الناس عند اجتماعهم في واقعة وذلك في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان؛ **فوقع أول اختيار للصحابة** إذ أجمعوا على كتابة القرآن العظيم على العرضة الأخيرة التي قرأها النبي ﷺعلى جبريل عام قبض، وعلى ما أنزل الله تعالى دون ما أذن فيه، وعلى ما صح مستفاضا عن النبي ﷺ دون غيره إذ لم تكن الأحرف

(١) ينظر: الأحرف السبعة لأبي عمرو الداني (صـ٣١)، منجد المقرئين (صـ٦١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٧/٨٨) من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود.

السبعة واجبة على الأمة، وإنما كان ذلك جائزا لهم مرخصا فيه، وقد جعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاروه...، فكتبوا المصاحف على لفظ لغة قريش والعرضة الأخيرة، وما صح عن النبي ﷺ واستفاض دون ما كان قبل ذلك مما كان بطريق الشذوذ والآحاد من زيادة وإبدال وتقديم وتأخير وغير ذلك، وجردوا المصاحف عن النقط والشكل لتحتمله صورة ما بقي من الأحرف السبعة كالإمالة والتفخيم والإدغام والهمز والحركات وأضداد ذلك مما هو في باقي الأحرف السبعة غير لغة قريش، وكالغيب والجمع والتثنية، وغير ذلك من أضداده مما تحتمله العرضة الأخيرة إذ هو موجودة في لغة قريش وفي غيرها، ووجهوا بها إلى الأمصار، فأجمع الناس عليها[١].

فوقع الاختيار من الصحابة على أسس ثلاثة:

*كتابة المصحف بلغة قريش، دون غيرها.

* على العرضة الأخيرة وحدها.

* مراعاة ما يحتمله الرسم من موافقة الأحرف الأخرى مما استفاض عنه ﷺ.

عهد التابعين، ومن بعدهم من القراء:

وإذا تبين أن الصحابي الواحد قد قرأ بحرف أو أكثر عن النبي يخالف فيه غيره من الصحابة ممن قرأوا على النبي ﷺ، ثم أقرأَ التابعي بذلك، وأن هذا التابعي أخذ عن غير واحد من الصحابة؛ فاجتمع عنده أكثر من حرف عن أكثر من صحابي، ثم جاء عالم مثل الإمام نافع فأخذ عن سبعين من التابعين من هؤلاء التابعين.

وإذا تصورت هذا فإنه حينئذ يتضح لك كمُّ ما اجتمع عند نافع أو عند حمزة أو خلف أو الكسائي مثلا من الأحرف القرآنية المختلف فيها.

وهنا ظهرت الحاجة لأن يختار هؤلاء العلماء من مجموع ما رووه من الأحرف القراءاتية، بحسب شروط محددة، مع عدم منعهم لغير ما اختاروه من الأحرف.

فكان الواحد من القراء يقرأ على الجماعات القراءات المختلفة فينقل ذلك على ما قرأ، وكانوا برهة من الزمان يُقرِئون بما قَرَءوا، فمن قرأ عليهم بأي حرف كان لم يردوه إذا كان ذلك مما قَرَءوا على أئمتهم،

(١) انظر: منجد المقرئين (صـ٢٣).

ثم يختارون بعد ذلك حرفا مما رَوَوْا يختصون به ويلتزمون به، وبه يعرفون، وقد روي عن نافع أنه كان يُقرئ الناس بكل ما قرأ به على مشايخه حتى يقال له: نريد أن نقرأ عليك باختيارك مما رويت"(١).

ومن مجموع ما سبق يتبين أن "اختلاف القراء في الشيء الواحد مع اختلاف المواضع قد أخذه الصحابي كذلك من رسول الله ﷺ وأقرأه كذلك إلى أن اتصل بالقراءة نحو قراءة حفص «مَجْرٜىٰهَا» [هود: ٤١] بالإمالة فقط ولم يمل غيره في القرآن" (٢)، وكذا قل في قراءة غيره.

كما يظهر لنا أن الأصل في القراءات الرواية لا الاجتهاد اللغوي البعيد عن الرواية، وقد قال الصحابي الكريم زيد بن ثابت: « القراءة سنة» (٣)، وأعقب البيهقي هذا الأثر عن زيد بن ثابت بقوله: «وإنما أراد والله أعلم أن اتباع من قبلنا في الحروف وفي القراءات سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغًا في اللغة أو أظهر منها... والأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ بعد ما عارضه به جبرائيل عليه السلام في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين»(٤).

وهذه الآثار تنفي أن سبب اختيار القارئ للقراءة- فقط- أنها أقرب للغته ولغة قومه أو ما يقصده البعض بالأثر الذي تحدثه البيئة اللغوية للقارئ في قراءته دون النظر في أنَّ اختياره للحرف القرآني مبني على أسس كالرواية من اتصال السند الصحيح وموافقة الرسم وليس فقط التأثر اللغوي.

قراءة عاصم واختياره على أساس الرواية:

١- قامت قراءة عاصم على التمسك بالرواية وإن خالف لهجته التي درج عليها، فعاصم كوفيٌّ أسديٌّ والراوي عنه وهو حفصٌ بن سليمان كوفيٌّ أسديٌّ وكذلك شيخُ عاصمٍ وهو زِرُّ بن حُبيشٍ كوفيٌّ أسديٌّ ومع ذلك لا نجد أثرًا لإمالة بني أسد التي اشتهروا بها(٥) في رواية حفص إلا في كلمة واحدة لم يمل غيرها وهي كلمة "مَجْرٜىٰهَا" [هود: ٤١]، في حين أننا نجد الإمالة أكثر في رواية أبي بكر شعبة بن عياش، ولا يُظَنُّ أن ذلك تأثرٌ بلهجته ولهجة شيخِه عاصمٍ إذ كلاهما كوفي أسدي، ولكن يبين ذلك ما اشتهر من قول عاصم لحفص حين سأله عن أسباب اختلاف روايته مع رواية قرينه شعبةَ بنِ عياشٍ مع أن شيخهما

(١)انظر: الإبانة لمكي بن أبي طالب (صـ ٨٣-٨٤) بتصرف.
(٢) ينظر: منجد المقرئين (٦١صـ).
(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٣٨٥).
(٤)المصدر السابق (٢/٣٨٥).
(٥) ينظر: في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس (صـ٦٠).

واحد وهو عاصم فقال: " ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي ﷺ وما كان من القراءة التي أقرأت بها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زِر بن حُبيش عن ابن مسعود ﷺ»[١] فرجع الأمر إلى الرواية، وأنها الأسُّ الركينُ في الاختيار القراءاتي.

٢- وكذلك نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وهو نوع من أنواع تخفيف الهمز المفرد ولغة لبعض العرب، اختص بروايته ورش وغيره بشروط [٢]، وهو مسموع من لغة أسد يقول سيبويه في كتابه: "واعلم أن ناسًا من العرب كثيرًا يلقون على الساكن الذي قبل الهمزة حركة الهمزة سمعنا ذلك من تميم وأسدٍ.." ومع ذلك لا نجد ذلك في قراءة عاصم[٣].

٣- ومن ذلك كلمة "**يَـٰٓأَيُّهَا**" قال ابن هشام في مغني اللبيب: "ويجوز في هذه- أي كلمة "**يَـٰٓأَيُّهَا**" - في لغة بني أسد أن تحذف ألفها وأن تضم هاؤها إتباعًا وعليه قراءة ابن عامر ﴿ **أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [النور: ٣١]، ﴿ **أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ** ﴾ [الرحمن: ٣١]، ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ** ﴾ [الزخرف: ٤٩]، بضم الهاء في الوصل"[٤]، فتأمل- رحمك الله- كيف أن عاصمًا وهو الكوفي الأسدي لم تؤثر لغة بني أسد في الحرف القرآني عنده، ونجده يقرأ هذه الكلمات على الرسم بلا اتباع الهاء حركة الياء [٥]، فابن عامر الشامي يقرأ بلغة أسد الكوفة، وعاصم الكوفي الأسدي يترك لغته لا لشئ إلا للرواية، وهذا يدل على دفع مسألة تأثر القارئ بالبيئة اللغوية في اختياره بعيدًا عن الرواية.

فالقراء في المقام الأول كانوا يتخيرون من الأحرف القرآنية التي ثبتت عندهم بالرواية بشروط دقيقة ذكرها ابن الجزري في النشر حيث قال: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن... وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه» [٦].

(١) ينظر: أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار لابن وهبان المزي (ص٤٦٠)، ومعرفة القراء الكبار (٩٢/١).
(٢) ينظر: النشر (٤٠٨/١).
(٣) ينظر: كتاب سيبويه (١٧٧/٤).
(٤) ينظر: مغني اللبيب (ص٤٥٦)، وتقريب النشر (١١٢).
(٥) ينظر: تقريب النشر (١١٢).
(٦) انظر: النشر (٩/١).

ولو صح أن كل قارئ من القراء قديمًا كان له أن يؤدي خلاف ما قرأ ونقل عن مشايخه فيغير بحسب لغته التي درج عليها من همز وإدغام ومد وتشديد وحذف وإمالة أو ترك ذلك كله أو شيء منه أو تقديم أو تأخير مما لم ينقل عن الرسول ﷺ والصحابة أو غير ذلك لسوغنا لهم مخالفة جميع قراءة الرسول ﷺ، "بل كانت أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة; لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها" (١) .

فالتَّأَثُّر بالبيئة اللغوية وحده لا مدخل له في إيجاد أو ابتداع قراءة أو أداء كمدٍ وإثباتٍ وحذفٍ وإمالةٍ وفتحٍ ونحو ذلك، ولكن الاختيار يكون مما صح للقارئ روايته ثم تأتي مسألة الأقوى لغةً أو الأيسر لهجةً بعد الرواية، والله أعلم.

(١) انظر: جامع البيان لأبي عمرو الداني (٢/٨٦٠) بتصرف، والنشر (١/١١) بتصرف.

فهرس الأبحاث

الاطلاع على مناشط الأكاديمية

زوروا صفحة

https://www.facebook.com/profile.php?id=١٠٠٠٧٦٣٠٩٩٨٤٩٠٥&mibextid=ZbWKwL

تم بحمد الله

الناشر: أكاديمية فيض العلم

منظمو المؤتمر

























